المجمع 21 (1447/ 2025). 175-208

القلب: مرادفاته ودلالاته في اللغة والدين والشِعر

محمد حمد

Al-Qalb [The Heart], Its Synonyms and Semantics in Language, Religion and Poetry

Muhammad Hamad

Abstract

This article explores the concept of *al-qalb* [the heart] and its synonyms in Arabic, including *al-lubb [core]*, *al-janān [innermost self]*, *al-fu'ād [inner soul]*, and *al-ṣadir [chest]*, clarifying their semantic differences. It examines how these terms have developed historically and semantically within Arabic texts. The study aims to address two main questions: *How are the meanings of al-qalb [the heart] and its synonyms expressed in the Arabic language, religious texts, and poetry?* And *how have the connotations of these synonyms changed across different literary periods?*

The research issue stems from subtle differences in the lexical meanings of *al-qalb*'s synonyms and the semantic shifts in their idiomatic use across various fields such as religion and poetry. Some synonyms may be unfamiliar to many, while others have undergone semantic changes over time. Key findings show that the word *qalb [heart]* reflects both emotion and reason, while *al-janān [innermost self]* signifies hidden feelings. Furthermore, *al-lubb [core]* relates exclusively to reason, while *al-fu'ād [inner soul]* denotes fleeting emotions, and *al-ṣadir [chest]* acts as a vessel for the heart, containing both emotion and reason. Accordingly, the study highlights how *al-qalb [the heart]* in Arabic functions as a center of will, emotion, and reason, and in Islam, it serves as a symbol of faith and morality.

Keywords: Heart, Semantics, Synonyms, Semantic Evolution, Arabic, Islam

الملخّص

يتناول هذا المقال مفهوم القلب ومرادفاته في اللغة العربية، مثل "اللُبّ"، و"الجَنان"، و"الفؤاد"، و"الصدر"، ويوضّح الفروق الدلاليّة بينها. ويسعى إلى الكشف عن التطوّر التاريخيّ والدلاليّ لهذه المصطلحات في اللغة والدين والشِعر، ويتوخّى الإجابة عن السؤالين: كيف تنعكس دلالات القلب ومرادفاته في اللغة والدين والشِعر العربيّ؟ وإلى أيّ مدى تطوّرت دلالات هذه المرادفات عبر العصور الأدبيّة؟

وتكمن مشكلة البحث في وجود فروق دقيقة في المدلولات المعجميّة لهذه المرادفات، وانزياح دلاليّ في الاستخدام الاصطلاحيّ لها، في مجالات مختلفة كالدين والشعر، بالإضافة إلى أنّ هنالك مرادفات أخرى قد لا يعرفها البعض، وأخرى تطوّرت دلاليًّا عبر العصور دون غيرها.

ومن أهمّ النتائج التي توصّل إليها البحث أن "القلب" يشمل المشاعر والعقل، و"الجَنان" يرمز إلى المشاعر المخفيّة، بينما "اللُبّ" يركّز على الجانب العقليّ الخالص، و"الفؤاد" يعبّر عن الانفعالات العابرة، و"الصدر" يُشكّلُ وعاءً للقلب بما دلّ عليه من عاطفة وعقل. ويبرز البحث دور القلب في النحو العربيّ كمركز للإرادة والعاطفة، وفي الإسلام كرمز للإيمان والأخلاق.

الكلمات المفتاحيّة: القلب، اللُبّ، الجَنان، الفؤاد، الصدر، الدلالة، الترادف، التطوّر الدلاليّ.

1. مقدّمة:

قالوا في الأمثال: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه. وسيكون الحديث عن الشقّ الأوّل من المثل وهو القلب، وعندها لن يكون الحديث عن الحبّ فقط؛ لأنّه لا تقتصر دلالات القلب أو مرادفاته على معنى واحد، وسيكون الحديث عنه من منظور اللغة العربيّة والإسلام والشِعر العربيّ.

عرفت اللغة مرادفات عديدة للقلب، منها اللبّ والجنان والفؤاد، وأشباه مرادفات كالسريرة والضمير والصدر والروع والجلجلان. ولكلّ معناه واستخدامه في الغالب، وقد تتقاطع المدلولات لبعض منها وتتنافر في البعض الآخر.

تتطوّر دلالات الألفاظ عبر العصور الأدبيّة، وتتولّد معان جديدة، ولمرادفات القلب نصيب منها، على امتداد ما يزيد على خمسة عشر قرنًا. وقد نظر الإسلام بخصوصيّة بالغة إلى موضوع القلب، وربطه بالإيمان والعقل، ولكنّه لم يغفل الدلالات الانفعاليّة والمشاعر

المكتومة، شأنها شأن الشعر، غزلًا كان أو غرضًا آخر، حيث استخدم الشعراء ألفاظ القلب، وميّزوا بينها حينًا، واجترحوا دلالات جديدة، بتأثير الثقافة حينًا آخر.

1.1 مشكلة البحث:

يتقصّى البحث دلالات مجموعة من الكلمات المرادفة للفظة "قلب"، في السياقات اللغويّة والدينيّة والشعريّة، وهذه المرادفات كثيرة، أبرزها: اللبّ، والجَنان، والفؤاد، والصدر. يقارن البحث بين هذه المرادفات من حيث التشابه والاختلاف، ويكشف نوعيّة العلاقة مع لفظة "قلب"، ويستقرئ تطوّرها الدلاليّ عبر العصور، في ظلّ إشكاليّة مصطلح "الترادف"، والفارق بين "التطوّر الدلاليّ" و"التغيّر الدلاليّ".

ويتحدّى البحث تعدّد السياقات التي تظهر فيها هذه المرادفات، وامتدادها على فترات زمنيّة متباعدة، والكمّ الكبير من الشواهد الذي تحتاجه عمليّة الرصد والمعاينة والاختيار.

ويجيب البحث عن السؤالين المركزيين:

كيف تنعكس دلالات القلب ومرادفاته في اللغة والدين والشِعر العربيّ؟

وإلى أيّ مدى تطوّرت دلالات هذه المرادفات عبر العصور الأدبيّة؟

يُضاف إلى ذلك، جمع مرادفات أخرى عدا المذكورة سابقًا، واستقراء دلالاتها وعلاقاتها مع الألفاظ المركزيّة، وشرح جزئيّة في علاقة القلب بالنحو والصرف.

2.1 منهجيّة البحث:

اعتمد البحث منهجيّات مختلفة، كان منها المنهج الوصفيّ التحليليّ، والمنهج التاريخيّ، حيث تمّت معاينة مترادفات اللغة في المعاجم القديمة، وتحليل دلالاتها، والمقارنة بينها، بالاستعانة بالمعاجم التاريخيّة المعاصرة التي أعطت صورة واضحة عن تطوّر اللفظة خلال فترات زمنيّة تمتدّ من الجاهليّة حتى العصر الحديث. وتمّت في السياق الدينيّ دراسة مترادفات القلب داخل سياق الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وبعض نصوص السيرة النبويّة؛ واعتُمد المنهج الاستقرائيّ في دراسة المترادفات ("قلب"، و"فؤاد"، و"جنان"، و"لبّ"، و"ضمير") في سياقات شعريّة من عصور أدبيّة مختلفة، تمّ اختيارها بناء على وجود هذه المترادفات، أي

إنّ هنالك عشرات الدواوين التي لم تحتوِ على لفظة "جنان" –مثلًا- واستثناها البحث لعدم جدواها، وقد تطلّب ذلك تصفّح أعمال شعريّة كثيرة، وكان لشعراء الغزل نصيب وافر منها لقرب موضوعات الحبّ من موضوع البحث. وكانت المنهجيّة قائمة على جدولة المترادفات من خلال سياقاتها، والمقارنة بينها، والتوصّل إلى تعميمات واستنتاجات خاصّة باستخدامها ودلالاتها، من حيث التقاطع بين دلالة المترادفات، والتقاطع مع الفترات التاريخيّة.

3.1 المصطلحات الخاصّة بالبحث:

1.3.1 الدلالة:

"هي المعنى الذي يتحقّق من الرموز الصوتيّة واللفظيّة والكتابيّة والإشاريّة والجسديّة وغيرها" (عكاشة، 2002، 8)، وهو يتطابق بشكل كبير مع تعريف الراغب الأصفهانيّ لها: "الدلالة ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز والكتابة، والعقود في الحساب" (1997، 228)

ولكنّ القصد بها في التعريف المعاصر أنّها الدلالة الوضعيّة أو اللغويّة، أو دلالة المطابقة، أي دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعة بإزائها، كدلالة السماء والأرض والجدار على مسمّياتها" (وهبة والمهندس، 1984، 170). و"هي التعبير عن فكرة أو إحساس أو ما إليهما باستخدام علامة معيّنة" (أبو خضرة وآخرون، 2013، 145)

2.3.1 الترادف:

"هو اختلاف اللفظ واتّحاد المعنى في كلمتين فأكثر" (عكاشة، 2002، 51). وقد اختلف علماء اللغة القدامى حول حقيقته، فقسم أقرّ به، وقسم أنكره، واعتبروا أن الأصل هو الاسم والباقي صفات له، كالسيف مثلًا، فكلّ مرادفاته هي صفات له لكنّ المسمّى واحد، لكن لا يتوافق هذا الرأي مع موضوع القلب ومرادفاته، فاللب والصدر والفؤاد والجنان موصوفات وليست صفات. ولعلّ من جمال اللغة العربيّة أن يكون فيها هذا الثراء، فالمترادفات قد لا تتطابق بشكل كامل بالضرورة، وتقوم أحيانًا على التخصيص أو التعميم، أو الضيق، أو الاتّساع، أو ابتداع معنى جديد.

3.3.1 التطوّر الدلاليّ:

"هو انتقال كلمة من معنى إلى آخر، أو إضافة معنى آخر جديد إلى معناها، دون أن تترك الأوّل، فتتعدّد بذلك المعاني التي تدلّ عليها، وتستعمل في أيّ واحد منها على حسب الأحوال والمقامات، والغالب أن يحصل هذا التبدّل على مرّ الأيّام وتقلّبات العصور، ويُسمّى في هذه الحال تطوّرًا؛ لأنّه انتقال بالكلمة من طور إلى طور" (المبارك، 1972، 180)

يُشار هنا إلى أنّ الخروج عن المعنى الأوّل إلى معنى لا يقربه هو تغيّر دلاليّ وليس تطوّرًا دلاليًّا.

4.1. محددات البحث

كان المتاح من المعاجم القديمة والحديثة كبيرًا، بالإضافة إلى معجمين تاريخيين حديثين، وقد اقتضى الحال اختيار كمّ محدود منها، منعًا للتكرار، وتقليلًا للمادة المجموعة. وندرت الأبحاث التي تستقرئ التطوّر الدلاليّ لمرادفات القلب، أو تقوم بجمعها كما هو الحال في هذه الدراسة. وقد روعي اختيار آيات قليلة شواهدَ لمرادفات القلب، وأحاديث قليلة، نظرًا للكمّ الكبير، خاصّة وأنّ المعاني فيه تتكرّر، والإيجاز هو السبيل في مثل هذه الأحوال.

ولفت الانتباه كثرة الشواهد الشعريّة التي استخدمت القلب والفؤاد، وندرتها التي استخدمت الجنان. وقد مُسحت دواوين كاملة من الشعر العربيّ؛ بغرض البحث عن كلمة "جنان"، ولم يُجمع سوى القليل.

شكّلت الفترة الزمنيّة الكبيرة، من الجاهليّة حتّى يومنا هذا تحدّيًا كبيرًا، وصعّبت مهمّة البحث عن شواهد مناسبة.

2. خلفيّة نظريّة:

تناولت المعاجم شرح القلب ومرادفاته بشيء من التفصيل، وقد أخذ اللاحقون عن السابقين الكثير، وخلطوا بين التعريفات، ولم يوضّحوا الفروق بين المرادفات، وهذا جزء من مهامّ هذا البحث. ويمكن اعتبار تفاسير القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف أساسيّة للباحثين في الوصول إلى تعريف هذه الألفاظ في سياقها الدينيّ. لكن تندر الكتب القديمة التي أفردت أبوابًا بها، وإن وجدت فهي في سياق مغاير ولغرض مختلف، وهنا تجدر الإشارة إلى كتاب

الإمام الغزالي "إحياء علوم الدين"، حيث أفرد كتابًا (بابًا) في شرح عجائب القلب، وتحدّث فيه عن النفس والروح والعقل (1982، ج3، 2) من منظور دينيّ صوفيّ فلسفيّ، وهنالك دراسة معاصرة تقارن بين ما ذكره الغزالي عن القلب والنفس والروح والعقل في "إحياء علوم الدين"، وما ذكره عن الموضوعات نفسها في كتابه "الرسالة اللدنيّة"، وتصل إلى تقاربات واختلافات بين الكتابين، وبالتالي تشير إلى بعض المستشرقين الذين شكّكوا بنسبة الرسالة اللدنيّة للغزالي بسبب الاختلافات (Sa'ari, 1997, 208).كذلك يمكن رؤية تقسيم ابن قيّم الجوزيّة القلب إلى قلب سليم، وقلب ميّت، وقلب سقيم (2004، 7)، ومثل هذه التقسيمات ذات طابع دينيّ، وبعيدة عن الدلالات اللفظيّة أو المعجميّة.

وأوّل دراسة معاصرة تجدر بالملاحظة هي "مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنّة" لمحمّد علي الجوزو، تحدّث فيها عن الألفاظ المرادفة للقلب، وذكر الفؤاد والصدر (1980، 240)، وفي سياق سابق في الحديث عن القلب والعقل ذكر اللبّ وشرحهما من خلال المعاجم والشعر (ص24-30)، وكان التركيز في الكتاب على المعاني الدينيّة، واختصر الشرح المعجميّ، ولم يذكر الجنان والمرادفات المضافة كالسريرة والضمير وغيرها.

وفي دراسة ليحيى معروف (2010) يسأل الباحث سؤالًا حول استخدام لفظة "قلب" في القرآن الكريم والأدب العربيّ: هل المقصود بالقلب ذلك الموجود في الصدر أم الغرض منه هو الدماغ؛ واستعمل القلب استعمالا مجازياً؟ ويصل إلى جواب بأن استعمال القلب في القرآن الكريم والأدب العربي ليس مجازا بل هو حقيقة فاستعمل اللفظ في معناه الأصليّ (149-150). ما يميّز الدراسة اعتمادها على شواهد قرآنيّة ومن الشعر العربيّ، وعلى تجارب علميّة خاصّة بزراعة القلب من متبرّعين أو زراعة قلب اصطناعيّ. للشقّ الأوّل هنالك تشابه مع هذا البحث، إذ يذكر الباحث الفؤاد والصدر بمعنى القلب، ويتحدّث عن علاقة القلب بالعقل والإدراك. لكنّه لا يتوسّع في دلالات كلّ مرادف، ولا يذكر "الجنان" وبقيّة المرادفات التي يتناولها هذا البحث.

من الدراسات الجادّة التي تتقاطع مع السياق الدينيّ دراسة إنعام عبد (2019) حول "القلوب في القرآن الكريم"، حيث قامت الباحثة باستقراء الفروق والتشابه بين "قلب" و"فؤاد"

و"صدر"، من خلال المعاجم والآيات الكريمة والأحاديث النبويّة، وهو ما يتوافق مع نتائج هذا البحث، لكنّ الباحثة عبد لم تتطرّق إلى مرادفات أخرى مثل "لبّ"، أو "ضمير" أو "سريرة"؛ وتخلص إلى نتيجة مهمّة تتعلّق بلفظة "فؤاد" و"قلب" في القرآن الكريم، مفادها أنّ لفظة "قلب" وردت دائمًا قبل السمع والأبصار، ولفظة "فؤاد" وردت دائمًا بعد السمع والأبصار (ص374). وممّا لوحظ في الدراسة، الخلط في علاقة القلب بالعقل؛ فمن جهة تؤكّد ذلك وتذكر ما تقوله المعاجم، ومن جهة أخرى تنفي ذلك، وتقول إنّ للقلب ذاكرة خاصّة، وأنه ليس تابعًا للعقل (ص371)، وفي الدراسة أمور أخرى عن أنواع القلوب لا صلة لها بالبحث الحاليّ.

وفي دراسة ذات طابع مضمونيّ جماليّ بيانيّ عن الصدر، ترى الباحثتان (اليبرودي ونصّار) أنّ القرآن الكريم احتفى بلفظة "صدر"، وربطها بسياق التقوى، وسياق الشرح والضيق، وجاءت بأساليب بيانيّة غاية في الجمال (2021، 156)، ولم تجدّد الباحثتان بالنسبة للدلالة المعجميّة والاصطلاحيّة وعلاقة الصدر بالقلب، ولم تذكرا المرادفات الأخرى.

وفي دراسة معرفيّة حول استعارات القلب في "ترجمان الأشواق" لابن عربيّ، تقوم الباحثة نجف آبادي (2021) باستقراء السياقات المختلفة لكلمة "قلب" في استعارات عديدة، جمعت بين الغزل والتصوّف، أبرزها مفهوم الوعاء، والإنسان، والنبات، والطائر؛ والكائنات والأشياء المادية، مثل: المال، والمرآة، والنور والنار (187). ورغم الطابع الأدبيّ للدراسة، لكنّها اقتصرت على القلب، ولم تأخذ المرادفات الأخرى.

وهنالك دراسة ذات طابع نحويّ درست فيها الباحثة آرام عثمان الربط النحويّ للآيات المخاطبة للقلوب في القرآن الكريم (2021)، وكان هدفها دراسة الآيات التي تخاطب القلوب (مثل "أفلا يعقلون"، "أفلا يتدبرون") من منظور نحويّ نصّيّ؛ لبيان كيفيّة تحقيق الترابط بين الجمل والعناصر النصّيّة. وتحليل أدوات مثل الروابط (حروف العطف، والظروف، والضمائر) وكيفيّة استخدامها لربط الأفكار وتوجيه الخطاب نحو القلب والعقل. وأظهرت النتائج أنّ الروابط النحوية متماسكة نصيًّا؛ ممّا يعزز تأثير الخطاب القرآنيّ على المتلقّي. وأنّ هناك تناسقًا بين البنية النحويّة والدلالة النفسيّة للتوجيهات القرآنيّة (ص120).

يتّضح من استعراض الدراسات السابقة أنّ دراسة الجوزو (1980)، ودراسة معروف (2010)، هما الأقرب إلى السياق الأدبيّ، وأنّ دراسة عبد (2019) هي الأقرب إلى السياق الدينيّ، وثلاثتهم مختصرة وتجاوزت عن مرادفات مهمّة في البحث الحاليّ خاصّة "جنان" و"لبّ".

أمّا الدراسات الأخرى فذات طابع دينيّ ولغويّ، وتبتعد كثيرًا عن مشكلة هذا البحث. ومن هنا يتميّز البحث الحالي بالإحاطة والشمول من جوانب متعددّة، لغويًّا ودينيًّا وشعريًّا، ومنهجيّته في استقراء الدلالات ومقارنتها ومتابعة تطوّرها المعجميّ والسياقيّ عبر عصور مختلفة.

3. القلب ومرادفاته في اللغة:

1.3. معنى "القلب":

قال ابن منظور (1994) في مادّة (ق.ل.ب): القلب مضغة من الفؤاد، وقال ابن سيدة: القلب الفؤادُ. وقد يعبّر بالقلب عن العقل، ويعلّل تسميته بالقلب من خلال الشاهد:

ما سُمّيَ القلب إلّا من تقلّبهِ والرأيُ يصرفُ بالإنسانِ أطوارا

(ص3714)

ويوافقه الراغب الأصفهانيّ في تعليله: "وسمّي القلب قلبًا لتقلّبه عن المعاني التي تختصّ به من العلم والروح والشجاعة وما إلى ذلك: (1997، 531). وقد جاء في كليلة ودمنة أنّه "لا شيء أخفّ وأسرع تقلّبًا من القلب" (ابن المقفّع، 2005، 137).

وقال الفرّاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ (سورة ق: 37) أي عقل. وهذا جائز في العربية أن تقول: ما لك قلب وما قلبك معك، وأين ذهب قلبك؟ تريد العقل لكل ذَلِكَ. (ج3، 80).

يُلاحَظ من التعريفات السابقة أنّ تعريف "قلب" جاء من خلال المرادف "فؤاد"، ولم يُشر بشكل مباشر إلى علاقته بالعاطفة، ولكن أشير إلى علاقته بالعقل، وأوضح أكثر من مصدر سبب التسميّة.

2.3 معنى "اللُّبّ":

قال ابن فارس (1999) (في "معجم مقاييس اللغة"): "اللُّبُّ من كلّ شيء هو خالصُهُ وما ينتقى منه، ولذلك سمّي العقل لبًّا. ورجل لبيب أي عاقل" (ص200).

ويتوافق معه شرح الراغب الأصفهانيّ في "المفردات في غريب القرآن": "اللُّبّ العقل الخالص من الشوائب" (1997، 575).

من اللافت أنّ "لبّ" جزء من كلمة "قلب". و"قلب" بالعبريّة (לב) [liv]، و"حُبّ" بالإنكليزيّة (Love) [lav] وبالألمانية (Liebe) [Lī-be]، هذا التشابه في اللفظ وتعبيره عن الحبّ والقلب معًا يمكن إحالته الى تطوّر اللفظة في ثقافات متعدّدة عبر التاريخ. ونجد أساسًا لهذه العلاقة لدى الجوهريّ (1987) في الصحاح، فيربط بشكل جميل بين اللُّب والقلب، ويجمع "لُبّ" على "ألْبُب"، ويقول: بناتُ ألبُب: عروقٌ في القلب يكون منها الرِقَّة (ج1، 216)، وهذا المعنى يتّصل بالوجدان خلاف العقل، وكأنّ اللبّ بهذا المعنى بعضُ القلبِ.

والقلب أعمّ من اللبّ؛ فهو يشمل المشاعر والعقل، في حين أن "اللُّبّ" يُخصّص الجانب العقلي الخالص. لذا يمكن أن نقول: إنّ القلب لغة يحمل معنى التقلّب، في حين أن اللبّ جوهرٌ والجوهر يحمل معنى الصفة الثابتة.

3.3 معنى "الجَنان":

قال ابن منظور: (1994) في مادّة (ج.ن.ن): "والجنان بالفتح القلبُ لاستتاره في الصدر. وقيل لوَعْيِهِ الأشياءَ وجمعِهِ لها. "(ج13، 93)، والاستتارُ يتوافق مع معنى "الجِنّ" بأنّهم مُستترون وغير مرئيّينَ، وكذلك "الجَنين" في بطنِ أُمِّهِ. ويُستخدم الجَنان لوصف الحبّ المخفيّ أو المشاعر العميقة غير المُعلنة، فيما لو قورنَ بمرادفات القلب الأخرى.

ومن معاني الجنانِ الروحُ، قال ابن دريد (1987): "سمّيت الروحُ جَنانًا لأنّ الجسم يُجنّها" (ج1، 93). وفي معجم الدوحة التاريخي (2025) ورد معنى جديد لكلمة "جَنان"، ينسب لعمرو بن أحمر الباهلي (694م): "جنان القوم جماعتهم وسوادهم". (مادة جنن)

جنانُ المسلمينَ أودُّ مسًّا وإن جاورتَ أسلمَ أو غفارا

(الباهلي، د.ت، 76).

وورد أحد عشر معنى لكلمة "جنان" في معجم الشارقة التاريخيّ (2024)، في الجاهليّة (621م): القلب، الليلُ، الخفيّ من الأمور والأشياء، جماعة الناس ومعظمهم، وخوف ما لا يُرى؛ وفي الإسلام (750م): روع القلب، الساتر من الثياب، الروح، الجناب والناحية، الساحة وحريم الدار (مادة جنن).

ومن اللافت أنّ كلمة "جنان" تحديدًا تعدّدت دلالاتها، وقد يكون ذلك تطوّرًا دلاليًّا في بعضها وتغيّرًا دلاليًّا في البعض الآخر. ويرجّح أن تكون المعاني: "جماعة الناس، ساحة، جناب، وناحية" تغيّرات دلالية؛ وذلك لأنّ المعاني الأخرى تندرج تحت معنى الستر والاختفاء.

هنالك علاقة تربط "جَنان" بلفظة "مجنون"، التي هي من الجذر (ج ن ن) نفسه، وتعني الاختفاء عن العقل (كأنّ العقل "استُتر" بالحب). و"جَنان" مكان مخفيّ في الصدر، ومسكن الأسرار العاطفيّة التي لا يُفصح عنها. و"مَجْنون" فاقد العقل. أي مَن تجاوز العقل الاجتماعيّ بقوة الحبّ كمجنون ليلى.

ويمكن اعتبار مجنون كاسم مفعول مشتقّ من (جَنان)، بمعنى الذي صرعَهُ القلب. فالعشق قوّة تستتر في الجَنان، فإذا ظهرت، أظهرت صاحبها مجنونًا في نظر المجتمع.

4.3 معنى "الفؤاد":

جاء في القاموس المحيطِ: الفؤادُ للقلبِ، وأصلُهُ التفوّدُ أي التحرّق أو التوقّد، وفُئِدَ فلان أي وُجِعَ قلبُهُ، وافتأدَ فلانٌ زَيْدًا: أصابَ فُؤادَه، وافتأدَ الخَوْفُ فلانًا: جَبَّنَه (الفيروزآبادي، 2005، 305). يوافق ذلك ما جاء به الراغب الأصفهانيّ:

"الْفُؤَادُ كالقلب لكن يقال له: فُؤَادٌ إذا اعتبر فيه معنى التَّفَؤُّدِ، أي: التّوقّد (1997، 499).

وروى الزبيديّ في تاج العروس: "سُمِّيَ (الفُؤَادُ)، بالضَّمّ، مهموزًا، لتَوَقُّدِه، وَقيل أَصْلُ الفأْدِ، الحَرَكَةُ والتَّحْرِيكُ، وَمِنْه اشتُقَّ الفُؤادُ، لأَنَّه يَنْبِضُ ويَتَحَرَّك كثيرا، والفئيدُ النار نفسها (2001، ج8، 476). والمفؤودُ من لا فؤادَ له، أي جبانٌ (م،ن). وروى الزمخشريّ (1998) أنّ: "افتأدوا: أوقدوا نارًا ليشتووا" (ج2، 3).

يُلاحَظ تفسير الفؤاد بالقلب، على نيّة الترادف، وتركيز على الأصل الاشتقاقيّ، وهو لفظة "التفوّد"، أي التحرّق. ولم يرد ما يُشير الى المشاعر أو العقل. لكنّ النار تُحيل إلى الطاقة الكامنة والتحرّك، ممّا قد يُحيل إلى اضطرام المشاعر لدى المحبّين الذين بلغوا من العشق درجات.

5.3 معنى "الصدر":

جاء في تاج العروس في مادّة (ص.د.ر): "الصَّدْر: أَعلى مقدَّم كُلِّ شَيْءٍ وأَوَّله. (الزبيديّ، 2001، ج12، 293)، وهو منقول عن ابن منظور؛ وأضاف الأخير: "وَالْقَلْبُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الصَّدر" (1994، ج4، 446). والصدر بهذا المعنى يدلّ على تعميم، فالقلب جزء من الصدر، لكنّ الملاحظ في كلا القاموسين أنّ تعريف الصدر لا علاقة له بالقلب، عدا ما جاء من تذييل لابن منظور.

يُشير الصدر إلى موضع المشاعر وأحيانًا العقل؛ ففي الآية: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ (آل عمران: 154) يصحّ الابتلاء بالمشاعر والعقل.

أمّا الآية: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: 46)، فتشير إلى علاقة كلّ بجزء بين الصدر والقلب، مع التأكيد على أنّ القلوب هي المقصودة في الصدور.

ويشير عنترة (1992) في أحد أبياته إلى معنى الترادف بين "قلب" و"صدر":

وهـا أنـا قـد برزتُ اليوم أشـــفي فؤادي منكمُ وغليلَ صـــدري (ص86)

وقيس بن الملوّح (1999):

ووالله ِ مـا كـاد الـفـؤادُ يـجـنّـهُ وإن كان صدري من هواهُ يجيشُ (ص109)

وفي تفسير القرطبيّ للآية: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدورِ﴾ (الملك: 13) يعني بما في القلوب من خير وشرّ (2006). وفي حادثة شقّ صدر الرسول (صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ) ارتباط بين الصدر والقلب كما سيُشار لاحقًا.

6.3 ألفاظ أخرى بمعنى القلب أو مكوّناته:

رُوع القلب بالضمّ تعني دلالات عدّة، منها: القلب والعقل، الخلَد والخاطر والبال، وموضع الرَّوْع (الخوف) وهو القلب. ومعناه القلب والعقل من المعاني النادرة، مقارنة مع القلب والفؤاد، وقد ورد فقط لدى الأخفش الأوسط (ت 830م) في معاني القرآن (1990، 386).

السريرة وهي ما يُكتم ويُسرّ، ويقصد بها القلب، لأنّ طيّب السريرة معناها سليم القلب (الشرتوني، 2005، 656).

الجُلجلان ويعني ثمر الكزبرة وحبّ السمسم، ومن معانيه حبّة القلب (الفيروز أبادي، 2005، 979).

الضمير ما استقرّ في قلبك مما تكتمه وتخفيه أو تعتقده ولا تبوح به، كالحبّ والضغينة ونحوهما. قال الفند الزمانيّ (525م):

فـقـتـلـنـا بـوارداتٍ رجـالًا إذا بـدا كـاتمُ الضـمـيرِ فبـاحـا"

ومن معانيه التي كانت في الجاهليّة أيضًا: قوّة باطنيّة في الإنسان يميّز بها الحسن من القبيح. (معجم الشارقة التاريخيّ، 2024).

السويداء: لبّ القلب أو دمه (معجم الشارقة التاريخيّ، مادة (س و د). ويُستدلّ بأنّها بعض القلب قول الرسول (صلّى اللهُ عليهِ وسلّم): "لَيَوَدَّنَّ صاحِبُ هذا المال لو كان عَقارِبَ في الدُّنيا تَلسَعُ السُّوَيداءَ مِن قَلبِه" (الذهبيّ، 1985، ج2، 67).

الصميم: يقال صميم القلب والفؤاد، والمقصود عمقه وداخله (معجم الشارقة التاريخي، مادة (ص م م))، قال عنترة:

وأضرمَ [البرقُ] في صميم القلب نارًا كضـربي بـالحسـام الهنـدواني

(1992، 197)

المُهجة: دم القلب، ولا بقاء للنفس بعد ما تراق مهجتها (الفراهيدي، د.ت، ج3، 397).

الشعَفة: رأس القلب عند معلّق النياط. (الفراهيدي، د.ت، ج1، 260).

الشَّغافُ بالفتح والشِغافُ بالكسر: غشاء القلب، وحبّة القلب وهي سويداؤه (معجم الشارقة التاريخيّ، مادة ش.غ.ف). ورواها الزبيديّ بالفتح فقط، وذكر على لسان الأصمعيّ أنّ الشُّغاف بالضمّ داء في القلب إذا اتّصل بالطحال قتل صاحبه (2001، ج23، 518).

يُلاحَظ من معاينة لهذه المرادفات أو أشباهها أنّها تتعالق مع لفظة "قلب" أو "جنان" من منطلقات دلاليّة، فالروع هو القلب والعقل بالتطابق؛ والجلجلان والسويداء والصميم والمهجة والشعفة والشغاف أجزاء من القلب، كاللبّ، أو الدم، أو الغشاء؛ وجاءت السريرة والضمير تحملان معنى "الجَنان" القائم على الخفاء.

4. مفهوم القلب في النحو العربيّ:

كان القلب يُعتبر مركزًا للإرادة، والعاطفة، والتفكير (حسب الاعتقاد السائد قبل اكتشاف دور الدماغ)؛ لذلك، كل ما يرتبط بالدوافع النفسيّة نُسب إلى القلب. وقد سمّى النحاة مجموعة من الأفعال بأفعال القلوب، كما اعتبر المفعول لأجله مصدرًا قلبيًّا. فما هو الرابط مع القلب في هذين المصطلحين؟

أفعال القلوب مثل ظنّ، وعلمَ، ورأى، ووجدَ أفعال تتعدّى بمفعولين ولها صلة بالإدراك والعقل. فلو قلنا وجدت الامتحان صعبًا فهذا يعني عمليّة عقليّة داخليّة. وبما أن كتب اللغة القديمة أشارت إلى أن القلب هو مركز الإدراك والعقل، فمن المنطقيّ أن تكون هذه الأفعال قد سُمّيت بأفعال القلوب.

يقول السيوطي (1998) في "همع الهوامع": "شرطه أن يكون معللا ومن أفعال الباطن". (ج2، 97)، ويعرّفه الغلاييني (1991): "المصدر القلبيّ ما كان مصدرا لفعل من الأفعال التي منشؤها الحواس الباطنة" (ج3، 43).

ومن هذا المنطلق اعتبر المفعول لأجله مصدرا قلبيًّا؛ لأنّه يرتبط بالنيّة والإرادة، فهو مفعول يُعبّر عن الغاية أو الدافع النفسيّ وراء الفعل، وهو ما كان العرب يربطونه بالقلب (كمصدر للرغبات والقرارات).

5. القلب ومرادفاته في الإسلام

أشار ابن قيّم الجوزيّة (2004) إلى تقسيم القلب إلى أنواع، مبتدئًا بتقسيم الرسول صلّى الله عليه وسلّم للقلب إلى نوعين: أبيض وأسود (ص14)، وإلى تقسيم الصحابة له إلى أربعة أنواع هي: قلب أجرد وهو قلب المؤمن، وقلب أغلف هو قلب الكافر، وقلب منكوس وهو أخبث القلوب، وقلب له مادّتان: وهو القلب المتذبذب بين الكفر والإيمان. أما تقسيم ابن قيّم الجوزيّة نفسه فهو: القلب الصحيح، والقلب الميّت، والقلب المريض.

1.5 "قلب" في القرآن الكريم:

جاء في القرآن الكريم استخدامات متنوّعة للقلب والفؤاد واللبّ والصدر:

- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ (الحج: 46): القلب أداة عقل.
- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الأنفال: 2): القلب مصدر المشاعر الدينيّة.
- ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ (البقرة: 10): القلب قابل للمرض الروحيّ.
- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ خطاب للنبي محمد ﷺ، لكنّ السياق يشمل جميع الأنبياء (سورة الشعراء: 194): هنا استُخدم "القلب"؛ لأنّ الوحي يتعلّق بالإيمان والعقل والاستقرار، لا بمجرد الإدراك الحسيّ.
- ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الشعراء: 89): يرتبط مفهوم "القلب السليم" بشرط النجاة يوم القيامة، واختيار كلمة "قلب" دون "فؤاد" هنا يحمل دلالات عميقة. منها:

الآية تتحدّث عن النجاة الأخرويّة، وهي مرتبطة بحصيلة حياة الإنسان الإيمانيّة والأخلاقيّة، لا بمجرّد ردود أفعال آنيّة (التي يُعبّر عنها بالفؤاد). وأنّ القلب السليم يشمل الإيمان الخالص (السلامة من الشرك)، والأخلاق والنوايا (السلامة من الحقد، والكذب، والنفاق)، ويشمل الثبات الروحيّ وليس مجرّد انفعال عابر.

وجاء في الحديث الشريف ما يؤكّد المعاني السابقة: عن النبيّ ﷺ: "ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب" (متّفق عليه)

(عبد الباقي، 1986، ج2، 153). والمقصود بصلاح الجسد ليس استقامته الخَلقيّة (بفتح الخاء) وإنما الخُلقيّة (بضمّها)، وكذلك فسادُهُ، مما يؤكّد أنّ الدلالة معنويّة وليست حسيّة.

يُلاحظُ أنّ "قلب" تحملُ في الإسلام مفهوم العقل على الغالب، ولكنّها تحمل أيضًا مفهوم المشاعر كالخوف، ومفهوم المرض الروحيّ، وبهذا تقترب من المفهوم المألوف بأنّ القلب موضع الإحساس والمشاعر.

2.5 "لبّ" في القرآن الكريم:

بالنسبة لكلمة (لبّ): وردت كلمتا "لب" و"ألباب" في القرآن الكريم في عدة مواضع، وغالبًا ما تشير إلى العقل والفطنة والتفكير العميق، منها:

كلمة "لب" (بمعنى عقل أو جوهر الشيء):

- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة البقرة: 179). وهنا الخطاب لأصحاب العقول السليمة.
- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (سورة آل عمران: 190).

كلمة "ألباب" (جمع "لب" بمعنى العقول).

- ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الزمر: 18).
- ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة الرعد: 19).
- ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (سورة ص: 29).

تأتي هذه الكلمات في القرآن الكريم غالبًا في سياق الدعوة إلى التفكر والتعقّل، حيث يخاطب الله تعالى أصحاب العقول الراجحة؛ ليتدبّروا آياته ويتّبعوا الحق.

يظهر تعميم الخطاب العقليّ لكلمة "لبّ"، وهذا يتوافق مع الدلالات المعجميّة التي مالت في الغالب إلى هذه الدلالة.

3.5 "فؤاد" في القرآن الكريم:

وردت كلمتا "فؤاد" و"قلب" في القرآن الكريم، ولكلّ منهما دلالة خاصّة. والآية العاشرة في سورة القصص جمعت بينهما، مما يشير إلى اختلاف في المعنى رغم التقارب الظاهريّ، لكن هنالك حالات جاءت كلمة "فؤاد" أو "أفئدة" منفردة.

- ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (سورة الهمزة: 6-7). يُطرح السؤال هنا لماذا استُخدمت "الأفئدة" دون "القلوب"؟

الفؤاد مرتبط بالإدراك الحسيّ المباشر، والنار هنا تُوصف بأنها "تطّلع" (أي تُرى وتُحسّ)، فكان استخدام "الأفئدة" أنسب؛ لأنّها تعكس ردّ الفعل الحارق والمباشر للعذاب. ومن جماليّات الآية دقّة اختيار اللفظة، فالحديث عن "نار الله الموقدة" استوجب اختيار لفظة "الفؤاد" التي تشتمل في أصلها اللغويّ على معنى التفوّد أو التحرّق.

- ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (سورة النحل: 78). هنا ذُكرت "الأفئدة" (جمع فؤاد) مع السمع والأبصار، لأنّ الحديث عن الإدراك الحسيّ، بينما لم يُذكر القلب لعدم الإشارة إلى العقل.

- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (سورة الإسراء: 36). ذُكر الفؤاد هنا كأداة للإدراك والمسؤولية، أي أنّها جوارح خاضعة للإرادة الخاصّة.

- ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا﴾ (سورة القصص: 10). هنا نجد "فؤاد أم موسى" كان في حالة اضطراب وفراغ، بينما "قلبها" كان موضع تثبيت الله تعالى، والجمع بينهما دليل على اختلاف دلالة كلّ منهما.

يفسّر الزمخشريّ (1987) فِي (الْكَشَّافِ) سبب فراغ قلب أم موسى خوفُا عليه من الوقوع فِي يَدِ فِرْعَوْنَ، فطَارَ عَقْلُهَا لِمَا دَهَمَهَا مِنْ فَرْطِ الْجَزَعِ (ج،3، 395)، ويوضح ابن عاشور (1984) أنّ "فؤاد أم موسى" تعبّر عن فراغ الذهن من الصبر بسبب الهلع، وهو إدراك آنيّ. وَالرَّبْطُ عَلَى الْقَلْبِ :تَوْثِيقُهُ عَنْ أَنْ يَضْعُفَ كَمَا يُشَدُّ الْعُضْوُ الْوَهِنُ، أَيْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا بِخَلْقِ الصَّبْرِ

فِيهِ. (ج20، 82)، وهذا موافق لما ذكره القرطبيّ (2006) أنّ الربط على القلب إلهام الصبر (ج16، 240).

إجمالًا، فإن الموقف يتطلّب وصف حالة نفسيّة طارئة ومباشرة، حيث أصبح فؤادها "فارغًا" من الصبر بسبب خوفها على وليدها. ويستخدم "الفؤاد" للحالات الحسيّة أو النفسيّة المباشرة (الخوف، والعذاب، والرؤية)، ويستخدم "القلب" للحالات العقليّة أو الروحيّة الأعمق (الإيمان، والوحي، والتقوى)، ولما كان الخوف والقلق آنيًّا استخدم الله لفظة "الفؤاد"، وعندما ذكر التثبيت، وهو قائم على الاستقرار، استخدم القلب.

4.5 حادثة شقّ الصدر في السيرة النبويّة:

ترتبط حادثة شقّ صدر النبي ﷺ في طفولته، وكذلك الآية الكريمة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الشرح: 1)، ارتباطًا وثيقًا بمفاهيم "الصدر" و"القلب" و"الفؤاد" في القرآن والسنَّة، وتكشف عن دلالات عميقة تختلف عن استخدامات هذه المصطلحات في السياقات البشريّة العاديّة.

ورد في السيرة النبويّة لابن هشام (1981) أنّ رجلين عليهما ثياب بيض قد جاءا النبي (صلّى اللهُ عليه وسلّم) وهو طفل، فأضجعاه وشقّا بطنه والتمسا فيه شيئًا لا يدري ما هو " (ح1، 176). وجاء في صحيح مسلم (2001): "أَنَّ رَسول اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي: ظِئْرَهُ -، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقَعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ" (ج1، 101- 102). وفي رواية ثانية أنّ حادثة شقّ الصدر تكرّرت مع الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الإسراء والمعراج، إذ يروي البخاريّ: " «بَيْنَما أَنا فِي الْحَطِيمِ _وَرُبَّما قالَ: فِي الْحِجْرِ_ مُضْطَجِعًا، إِذْ أَتانِي آتٍ فَقَدَّ _قالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ_ ما بَيْنَ هَذِهِ إلى هَذِهِ [...] فاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إيمانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُم أُعِيدَ" (ج3، 1410).

وتعتبر سورة الشرح والآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ دليلًا على استخدامها للصدر بمعنى القلب، سواء أقصدت الحادثة الأولى أم الثانية أم كليهما، إذ يمثّل الصدر الوعاء الذي يحوي القلبَ والروحَ، أمّا القلب فهو مركز النبوة، والطهارة، والاستعداد لتلقّي الوحي، والفعل "شَرَحَ" (أي فسَّح وطهَّر) يعكس إعدادًا روحانيًّا، ليس جسديًّا فقط، ومن هنا جاءت لفظة "الصدر" لتكون أكثر شمولًا ودلالة.

6. القلب ومدلولاته في الأدب

1.6 العلاج بالقلب:

اعتقد العرب أنّ أكل قلب حيوان ما فيه شفاء، وقد ورد ذلك في قصص كثيرة منها الأسد والحمار وابن آوى، والقرد والغيلم في كليلة ودمنة. ورغم أنّ الكتاب هنديّ الأصل، لكنّه يعكس خلفيّات ثقافيّة في معتقدات الأمم السابقة، وأصبح الكتاب بعد ترجمته جزءًا من اللغة العربيّة والأدب العربيّ. وتتحدث القصّة الأولى عن استدراج ابن آوى لحمار نحو أسد ضعيف أصابه الجرب، أراد أن يأكل قلب الحمار وأذنيه؛ ليشفى بهما، وقد هرب الحمار عندما وثب عليه الأسد، فقال له ابن آوى: لماذا هربت من هذا الحمار، ويقصد الأسد، فقد كان يريد السلام عليك. ثم ينجح الأسد في المرة اللاحقة بقتل الحمار، فيغافله ابن آوى ويأكل قلبه وأذنيه، فلما لم يجدهما الأسد سأل ابن آوى عنهما، فقال ابن آوى: ألم تعلم أنه لو كان له قلب يفقه به، وأذنان يسمع بهما؛ لم يرجع إليك بعدما أفلت ونجا من الهلكة" (ابن المقفع، 2005، 140).

أمّا قصّة القرد والغيلم فتتلخّص في أنّ الغيلم غاب عن زوجته بعد أن صادق قردًا، فلما عرفت اشتكت لجارتها، فنصحتها أن تتمارض وتدّعي أنّ الأطباء وصفوا لها قلب قرد. وعندما يعود الغيلم الى بيته تنطلي عليه حيلة الزوجة فيعود الى القرد ويستدرجه في النهر، لكنّ القرد انتبه له، فصارحه الغيلم بالأمر، فقال القرد إنّه ترك قلبه لدى زوجته، كعادة القرود، فهم يتركون قلوبهم لدى أهلهم عند الفراق، وأنّه ليس كالحمار الذي زعم ابن آوى أنه ليس له قلب وأذنان (139).

وروى الدميريّ (2004) في حياة الحيوان الكبرى عن القزويني، وابن زهر، وابن بختيشوع: إنّ قلب الأفعى، إذا علّق على من به حمّى الربيع أبرأه. (ج1، 54)"، وقال هرمس: إذا أخذ قلب بومة وجعل على اليد اليسرى من المرأة في حال نومها تكلّمت بكلّ ما فعلته في يومها" (ج1، 233)، و"إذا جعل قلب النسر في جلد ذئب، وعلّق على إنسان، كان محبوبا مهابا مقضيّ الحاجة عند السلطان وغيره، ولا يضرّه سبع أبدا" (ج2، 478)، وقال جابر رحمه الله: "إنّ قلب الهدهد إذا شُوي وأُكل مع سَذاب [نبات عطريّ]، فإنّه ينفع للحفظ جدّا" (ج2، 519)، وإذا جُفّف قلب البغل ونحت وسقي من نحاتته امرأة لم تحبل أبدا" (ج1، 212). وتبدو هذه الاستخدامات نوعًا من الطبّ الشعبيّ الذي يحتاج التأكّد من فاعليّته إلى تجارب العلم.

وروى ابن الحسين السراج (2007) في مصارع العشّاق والأنطاكي (2003) في تزيين الأسواق شيئًا مشابهًا لما ذكره شوقي من نزع قلب الشاة كما سيُذكر تباعًا، فعن "عبد الله بن عجلان، وهو صاحب هند بنت كعب بن عمرو، وإنه عشقها، فمرض مرضًا شديدًا، حتى ضني، فلم يدر أهله ما به، فدخلت عليه عجوز، فقالت: إن صاحبكم عاشق، فاذبحوا له شاة، وأتوه بكبدها، وغيّبوا فؤادها. قال: ففعلوا وأتوه بها، فجعل يرفع بضعةً ويضع أخرى ثم قال: أما لشاتكم قلب؟ فقال أخوه: ألا أراك عاشقًا ولم تخبرنا. فبلغني أنه قال لهم بعد ذلك: آه! ومات" (ج2، 27؛ 107).

وفي مجنون ليلى لشوقي، يقترح عرّاف اليمامة أن يطعموا قيسًا من لحم شاة قد نزعوا قلبها كي يشفى من حبّه، فيقول:

وشـــاة بـلا قـلـب يـداويـني بهـا وكيف يداوي القلب من لا له قلبُ

(شوقي، 2012، 38)

ولم يُعثَر على هذه القصّة في كتاب الأغاني، حيث سرد أبو الفرج أخبار ليلى وقيس بن الملوّح، ويبدو أنّ شوقي استعار ذلك من قصّة ابن عجلان وهند.

من التفسيرات الأنثروبولوجيّة المحتملة لهذه الظاهرة: أكل عضو حيوان يعني استلهام صفاته (مثل الشجاعة من قلب الأسد)؛ إذ إنّ القلب مصدر "الروح والقوة الحيوية" في عديد من

الثقافات. وقد يكون ذلك شكلا من ترسّبات الديانة الطوطميّة التي كانت قائمة على عبادة الحيوان والنبات، والجماد وبعض الظاهر الطبيعيّة، فأطلقوا أسماء الحيوانات على أولادهم وبعض قبائلهم، ورغم أنّ أكل الطوطم محرّم في اعتقادهم، لكنّهم أجازوا الاستفادة من آثاره، كلبس الجلد وتعليق بعض العظام كنوع من التعاويذ، والتدهّن بدهنه (علي، 2001، ج2، 170)، وقد يكون أكل القلب أو الكبد نوعًا من الاستفادة من أثر الطوطم، تطوّر في مرحلة لاحقة، كما فعلت هند بنت عتبة في أكلها كبد حمزة بن عبد المطلّب (معناه الأسد)؛ تعبيرًا عن شفاء غليلها في شهوة الانتقام.

قال ابن حزم في طوق الحمامة ما يناقض حصول الحبّ دون التجربة: "وإني لأطيل العجب من كل من يدّعي أنّه يحبّ من نظرة واحدة، ولا أكاد أصدّقه، ولا أجعل حُبّه إلّا ضربًا من الشهوة، وأما أن يكون في ظني متمكّنا من صميم الفؤاد نافذًا في حجاب القلب فما أقدر ذلك، وما لصق بأحشائي حبّ قط إلا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرًا وأخذي معه في كل جدّ وهزل" (1987، 125). وموقف ابن حزم ينفي أن تكون لمثل هذه الأفكار مساهمة في زيادة الحبّ، ويعزو ذلك إلى العشرة ومرور الأيّام.

مجمل القول إنّ هذه أقوال وردت في كتب الطبّ الشعبيّ، وأخبار العشّاق، وليست دليلًا علميًّا، ويمكن اعتبارها معتقدات شعبيّة، ولكنّها تجمّل المشهد الأدبيّ، وتقدّم تفسيرًا يعكس ثقافة العامّة ومعتقداتها الأسطوريّة.

2.6 القلب ومدلولاته في الشعر

1.2.6 لفظتا "قلب" و"فؤاد":

وردت لفظتا "قلب" و"فؤاد" في الشعر العربيّ منذ أقدم العصور، وسنأخذ بعض الشواهد من فترات تاريخيّة مختلفة ونرى دلالات اللفظتين، بماذا تتشابهان وبماذا تختلفان (جدول رقم (1).

الشاعر	الشاهد	المصدر	المقصود
طرفة بن العبد (ت- 569م)	فالهَيِبتُ لا فؤَادَ لَهُ والثَّيِبتُ ثَبْتُهُ فَهَمُهْ	(ابن العبد، 2002، 73)	ضعيف القلب لا فؤاد له والشجاع القويّ ثابت الفهم
أحد الشعراء الهذليين (العصر الجاهليّ)	وكان قرينَ قلبِ المرءِ شَكُّ الأَمر والرُّعُبُ	(ديوان الهذليين، 1965، ج2، 250)	الشكوك والخوف هما القرين الذي يخبر عن حال القلب
الخنساء (ت- 645م)	إنّي تذكّرتُهُ والليلُ معتكرٌ ففي فؤاديَ صدعٌ غيرُ مشعوبِ	(الخنساء، 2004، 18)	فؤادها متصدّع حزنًا على موتِ أخيها
قيس بن الملوح (ت- 688م)	ذكت نارُ شوقي في فؤادي فأصبحت لها وهجٌ مستضرمٌ في فؤاديا	(قيس بن الملوح، 1999، 125)	فؤاده مشتعل بسبب الشوق لليلى
جميل بثينة (ت- 701م)	فأيُّ فؤادٍ لا يذوبُ لما أرى وأيُّ عيونٍ لا تجودُ فتدمعُ	(جميل بن معمر، 1982، 30)	يتأثّر فؤاده لدرجة الذوبان لما يرى
عمر بن أبي ربيعة (ت- 714م)	بانت سليمى فالفؤادُ قريحُ ودموعُ عيني في الرداءِ سفوحُ	(ابن أبي ربيعة، 1996، 94)	بعد المحبوبة جعل فؤاده جريحًا
ابن زيدون (ت- 1071م)	فؤادي مِن أسًى بكَ غير خالِ وقلبي عن هوى لكَ غيرُ صاحِ	(ابن زيدون، 1994، 59)	فؤاده من الأسى غير فارغ (كأم النبي موسى) وقلبه غائب عن الوعي بسبب الهوى
شوقي (ت- 1932م)	لقد أنلتُكَ أُذنًا غير واعيةٍ وربَّ مُنتصتٍ والقلبُ في صممِ	(شوقي، 2012، 230)	القلب فاقد للإدراك

الشاعر	الشاهد	المصدر	المقصود
شوقي	لم تبقَ منّا يا فؤادُ بقيّةٌ لفتوّةٍ أو فضلةٌ لعراكِ	(شوقي، 2012، 524)	يشكو للفؤاد الضعفَ والشيخوخةَ التي حلّت به
فدوى طوقان (ت-2003)	قد جئتُ ها أنا فافتحي القلب الرحيبَ وعانقيني	(طوقان، 1993، 8)	قلبها الواسع فضاء تتعانق فيه الأرواح
فدوى طوقان	دعي فؤادي يشتكي بثّه لعلّ في النجوى شفاءً لعلَّ	(طوقان، 1993، 20)	تدعو فؤادها أن يشكو لها همومه بهدوء لعلّها تشفى
محمود درويش (ت- 2008م)	كن من أنت حيث تكون، واحمل عبءَ قلبك وحدَه	(درويش، 2001، 80)	مسؤوليّات القلب كلّها من نصيبك
سميح القاسم (ت-2014)	مِن قلوبٍ شعشعت أشواقُها شُعلًا تعبرُ مِن رحبٍ لرحبِ	القاسم، 1987، 32)	يرسل أشواقه من قلوب مشتعلة واسعة الآفاق

من خلال قراءة الجدول أعلاه يُمكن بسهولة رؤية التشابه والاختلاف في استخدام كلا الكلمتين.

أوجه التشابه بين اللفظتين:

1.1.2.6. التعبير عن المشاعر:

- كلتا الكلمتين استُخدمتا للتعبير عن المشاعر الجيّاشة مثل الحبّ (قيس بن الملوح، جميل بثينة) أو الحزن (الخنساء، عمر بن أبي ربيعة). مثال ذلك فؤاد الخنساء: "ففي فؤاديَ صدعٌ غيرُ مشعوبِ"، وقلب فدوى طوقان: "القلب الرحيبَ وعانقيني".

2.1.2.6. الارتباط بالضعف أو القوّة:

- قد تدلّان على الضعف (فؤاد شوقي: "لم تبقَ منّا يا فؤادُ بقيّةٌ")، أو القوّة (قلب سميح القاسم: "مِن قلوبٍ شعشعت أشواقُها"). ارتبط الضعف لدى شوقي بالعمر والهرم، وارتبطت القوّة لدى القاسم بالإشراق والنور.

أوجه الاختلاف بين اللفظتين:

3.1.2.6. الفؤاد: الانفعال والحركة:

- الفؤاد يرتبط بالتفاعل العاطفيّ المباشر، مثل الألم (الخنساء)، والشوق (قيس بن الملوح)، أو الاضطراب (ابن زيدون). ويُشتق الفؤاد من "التفؤُّد" (التحرُّق)، ممّا يعكس سرعة التأثّر والحرارة العاطفيّة. مثال بارز على ذلك لدى قيس: "ذكت نارُ شوقي في فؤادي" فنار الشوق تحرق الفؤاد. استخدام الشعراء للفؤاد موفّق جدًّا لاختصاصه في التعبير عن الوجدان.

4.1.2.6. القلب: الثبات والعمق:

- القلب يحمل دلالات أعمق، مثل الإدراك (شوقي: "والقلبُ في صممِ")، والوعي (ابن زيدون: "وقلبي عن هوى لكَ غيرُ صاحِ")، أو الروحانيّة (فدوى طوقان)، والثبات (محمود درويش: "احمل عبء قلبك وحده").

وفي نظرة إلى التغيّر الدلاليّ نجد في الشعر الجاهلي أنّ الفؤاد يعبّر عن ضعف أو قوة عابرة (طرفة بن العبد: "لا فؤَادَ لَهُ"). بينما يمثّل القلب مركز الشجاعة أو الخوف (الهذليون: "قرينَ قلبِ المرءِ شَكُّ الأَمر"). وفي الشعر في العصرين: الإسلاميّ والأمويّ عُبّر بالفؤاد عن مشاعر عاطفيّة صادقة (الخنساء، وجميل بثينة)، بينما كان القلب بداية الربط بين العاطفة والعقل (ابن أبي ربيعة). وفي الشِعر الحديث يبقى الفؤاد رمزًا للعاطفة المباشرة (فدوى طوقان)، بينما يتّسع القلب ليشمل الهوية (درويش) والوجود (سميح القاسم)، ولا نعرف إذا كان هذا الاختلاف نابعًا من عوامل جندريّة؛ فالألفاظ (جنان وفؤاد) قد تناسب المرأة، بينما (قلب ولبّ) قد تناسب الرجل، وهذه فرضيّة تحتاج إلى بحث مستقلّ، ولا شكّ أنّ الحكم على لون أدبيّ واحد لا يكفي لتعميم النتائج على فترات تاريخيّة طويلة، ولعلّ ذلك نواة لأبحاث قادمة.

إجمالًا يعتبر الفؤاد لفظة انفعاليّة سريعة، تعبّر عن المشاعر الحارّة والآنية (شوق، حزن، اضطراب)، بينما يعتبر القلب لفظة أعمق، تجمع بين المشاعر والعقل والروح، وتعكس الثبات أو المسؤوليّة. ويظهر التمايز جليًّا في شعر ابن زيدون:

- "فؤادي مِن أسًى بكَ غير خالِ" (فؤاد = ألم عابر).
- "وقلبي عن هوى لكَ غيرُ صاحِ" (قلب = غياب الوعي بسبب الهوى الدائم).

2.2.6 لفظة "جنان":

لم يُعثَرْ على استخدام للفظة "جنان" في المعلّقات السبع، ووردت مرّتين في الأصمعيّات بمعنى (الليل) وليس القلب (الأصمعيّ، 1993، 112، 135)، ولم ترد في المفضّليّات. كما لم ترد في دواوين شعراء المعلّقات السبع عدا عنترة في أربعة مواضع وزهيرًا في موضع، ولم ترد لدى أهمّ شعراء الحبّ والغزل كقيس بن الملوّح مثلًا، لكن وُجدت بعض الشواهد في فترات لاحقة كما يظهر في الجدول (2) لفظة "جنان" في الشعر.

الشاعر	الشاهد	المصدر	المقصود
عنتر (ت- 608م)	بأني قد طرقتُ ديارَ تيمٍ بكلِّ غضنفرٍ ثبتِ الجنانِ	(عنتر، 1992، 197)	جنود عنتر الشجعان
عنتر	وقفتُ بهِ [الطلل] والشوقُ يكتبُ أسطرًا بأقلامِ دمعي في رسومِ جناني	(عنتر، 1992، 198)	أثر الأطلال في قلبه (دموع)
عنتر	أنني أطعنُ خصمي وهو يقظانُ الجنانِ	(عنتر، 1992، 199)	الخصم
عنتر	كأني قد كبرتُ وشابَ رأسي وقلّ تجلّدي ووهى جناني	(عنتر، 1992، 205)	الضعف نتيجة العمر
زهير بن أبي سلمى (ت-609م)	ولا أودٌّ إذا ما القوم جدّوا ولا وكلٌ ولا وهل الجنانِ	(زهير، 1988، 134)	رفض ضعف قلبه
المتنبي (ت-965م)	حديدُ اللحاظِ حديدُ الحفاظِ حديدُ الحسامِ حديدُ الجنان	(المتنبي، 1983، 33)	محاربة الموت بالشجاعة والحلم
المتنبي	ولو سلكت [المنايا] طرقَ السلاح لردّها بطول يمينٍ واتّساعِ جَنانِ	(المتنبي، 1983، 476)	قوة القلب

الشاعر	الشاهد	المصدر	المقصود
تميم بن المعزّ الفاطميّ (ت-1108م)	فسل الليالي عن نفاذ عزيمتي وسل الحوادث عن ثبات جناني	(تميم الفاطميّ، 1957، 523)	الشجاعة
ابن الخياط (ت-1123م)	أَصُونُ لِسانِي وَالْجَنانُ يُذالُ وَأَقْصِرُ بَيِّي وَالشُّجُونُ طِوالُ	(ابن الخيّاط، 1958، 289)	يكتم ذلّ القلب
عرقلة الدمشقيّ (ت- 1172م)	تَأَمَّل وَلتَكُن ثَبتَ الجَنانِ نِساءَ الحَيِّ أَم حورُ الجِنانِ	(عرقلة الدمشقيّ، 1992، ص103)	الشجاعة
لسان الدين بن الخطيب (ت-1374م)	سلب العدى كتبي فقا بنصرتي حفظي على عجلٍ وفهم جنان	لسان الدين بن الخطيب، 1989، 595)	العقل

لو نظرنا إلى الجدول السابق لأمكن استقراء الخصائص التالية:

1.2.2.6. تعدّد الدلالات والمعاني:

القلب (كعضو مشاعر أو وعي): ويظهر لدى عنتر في قوله: "أقلام دمعي في رسوم جناني" (أثر الأطلال في قلبه)، ولدى ابن الخيّاط في قوله: "والْجَنانُ يُذالُ" (القلب يُهان).

الشجاعة والقوّة، وتظهر الأولى لدى عنتر وتميم الفاطميّ وعرقلة الدمشقيّ في أقوالهم عن ثبات الجنان. وتظهر الثانية عند المتنبي في قوله: "حديدُ الجنان" (قلب قويّ).

الضعف أو الانهيار: وقد ظهرا لدى عنتر وزهير في التعبير عن الضعف بسبب العمر وضعف القلب.

العقل أو الفهم: وقد ظهرا عند لسان الدين بن الخطيب في قوله: "فهم الجنان" (العقل).

2.2.2.6. التطوّر الدلاليّ عبر العصور:

العصر الجاهليّ (عنتر، وزهير): ركز شعراؤه على معاني القوّة/الضعف في القلب (جَنان = قلب أو صدر)، مع إيحاءات بطوليّة أو عاطفيّة.

العصر العبّاسي (المتنبّي): أضاف الشعراء بعدًا فلسفيًا، مثل مواجهة الموت ("بطول يمين واتّساعِ جَنانِ")، مع التركيز على الصلابة الداخليّة.

العصور اللاحقة (الفاطميّ، والأندلسيّ): حافظ الشعراء على معاني الشجاعة (تميم، عرقلة)، لكنّها تطوّرت؛ لتدلّ على العقل عند ابن الخطيب، ممّا يعكس تأثير الثقافة الأندلسيّة التي مزجت بين العاطفة والعقل.

3.2.2.6. الثبات والتحوّل في الاستخدام:

الثبات: بقي المعنى الأساسيّ للجَنان مرتبطًا بـ القلب أو الصدر (كمصدر للشجاعة أو المشاعر).

التحوّل: تحوّلت الدلالة من التركيز على القوّة البدنيّة/العاطفيّة (جاهليّ) إلى القوة الفكريّة/الروحيّة (أندلسيّ)، خاصّة عند ابن الخطيب.

4.2.2.6. ظهور الأبعاد الثقافية والاجتماعية:

- في العصر الجاهليّ، كلمة الجَنان تعكس قيم البطولة والفروسيّة (عنتر).
- في العصر العباسيّ، أصبحت كلمة الجنان مرتبطة بالتحدّي الوجوديّ (المتنبي).
- في العصر الأندلسيّ، دخلت الكلمة في سياق الحكمة والوعي (ابن الخطيب)، ممّا يشير إلى تأثير الفلسفة والتصوّف.

نجمل بأنّ كلمة "الجَنان" مرنة دلاليًا؛ حيث احتفظت بصلتها بالقلب (ماديًا ومعنويًا)، لكنّها تطوّرت من دلالة بدنيّة/عاطفيّة إلى دلالة عقليّة/روحيّة، مما يعكس تغيّر القيم الشعريّة والثقافيّة عبر العصور.

كان الأكثر شيوعًا: دلالة الشجاعة والقلب (في 70٪ من النماذج).

وكان الأكثر تميزًا: دلالة العقل (عند ابن الخطيب)، التي تعتبر تطوّرًا لاحقًا.

3.2.6 "اللبّ" و"الضمير" في الشعر:

يُستخدم اللب في العشق عندما يكون الحب مقرونًا بالحكمة أو المعاناة الفكرية. مثال ذلك قول جرير (1986):

يصـرعن ذا اللبِّ حتّى لا صـراع بهِ وهنَّ أضـعفُ خلقِ اللهِ أركانا

وفي رواية لا حراك به (ص163)، لماذا اختار جرير "اللُبّ" تحديدًا؟

اللُبّ يعني العقل الراجح، و"ذو اللُبّ" يعني الرجل العاقل الحكيم (كما في القرآن الكريم: ﴿أُولُو الْأَلْبَابِ﴾). يصف جرير النساء بأنّهنّ يصرعنَ حتّى العقلاء (لا العشّاق فقط)، مما يضاعف من تأثير المفارقة. والمفارقة ساخرة؛ لأنّ النساء، في رأي جرير، "أضعف خلق الله" جسديًّا، مقارنة بالذكور، لكنّهنَّ يصرعنَ أقوى ما في الرجل (عقله!). ولو قال: "يصرعنَ ذا القلب" لاحتملَ المعنى العاطفة، لكن "اللُبّ" يضيف بُعدًا عقليًّا يُفترض أنه منيع.

يعتبر استخدام لفظة "اللبّ" من الألفاظ النادرة في الشعر، لكنّ استخدام لفظة "الضمير" كان أكثر اتّساعًا كما نرى في الجدول (3):

الشاعر	الشاهد	المصدر	المقصود
قيس بن الملوح (ت- 688م)	على ما انطوى من وجده في ضميرهِ على الآنسات الناعمات الخرائدِ	(ابن الملوح، 1999، 53)	الانطواء في الحبّ يعني التكتّم، مما يعني الجنان
قيس بن الملوح	أحبّك يا ليلى على غير ريبةٍ وما خير حبٍّ لا تعفّ ضمائره	(ابن الملوح، 1999، 56)	العفاف في الحبّ من أخلاق العاشق العذريّ وكونه يخاطب ليلى فهذا كشف للمشاعر في ميزان العقل
الخرائطيّ (ت- 938م)	وَلَكِنْ جَعَلْتُ الْوَهْمَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا رَسُولًا فَأَدَّى مَا تُجِنُّ الضَّمَائِرُ	(الخرائطيّ، 2000، ج2، 345)	استخدام تجنّ بمعنى تخفي يدلّ على أنّ الضمير بمعنى الجنان
ابن زيدون (ت- 1071م)	نكادُ حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسّينا	(ابن زيدون، 1994، 299)	الضمير أقرب إلى الجنان لأنه مخفيّ ويعبّر عن المشاعر
	يا نازحًا وضمير القلب مثواهُ أنستك دنياك عبدًا أنت مولاهُ	(ابن زيدون، 1994، 320)	النسيان عمليّة إدراكيّة

يُلاحَظ بالنسبة لأبيات قيس بن الملوّح أنّ الضمير يعبّر عن المشاعر المختبئة، المشابهة لمعنى "الجنان" (القلب الخفيّ)؛ فالفعل "انطوى" يشير إلى الكتمان، مما يقربه من دلالة "الجنان" كوعاء للأسرار والعواطف غير المعلنة. ولو استُخدم "فؤاد" لكان التركيز على حرارة المشاعر، أما "ضمير" فيُبرز الخفاء والأخلاق (العفاف في الحبّ العذريّ).

الضمير أيضًا يرتبط بالنقاء الأخلاقيّ (المعنى الآخر للضمير)، فهو ليس مجرد مشاعر (كالفؤاد) ولا وعي (كالقلب)، بل السريرة الخالصة؛ فالعفاف في الضمائر يجعلها أقرب إلى "السريرة" في الدين (ما يُكتم في القلب).

ولدى الخرائطيّ فإنّ الفعل "تُجِنُّ" (من الجِنَّة، أي الاستتار) يربط الضمير بـ"الجنان" (المستتر في الصدر). فالضمائر هنا هي أسرار محفوظة، تُوصل عبر الوهم (الخيال)، مما يعكس دور الضمير كحافظة للعواطف غير المعلنة.

ولدى ابن زيدون الضمائر تُناجي (تكلّم سرًّا)، مما يقاربها مع "الجنان" (القلب الخفيّ)، لكنّها تضيف بُعدًا تواصليًا سريًّا. والفرق في استخدام "الضمير "بدل "الفؤاد" أنّ الأخير يشتعل، أمّا الضمير فيُعبّر عن ألم داخليّ مكتوم. وفي قوله:

"يـا نـازحًـا وضــمير القلـب مثواهُ أنســتك دنياك عبدًا أنت مولاهُ"

يجمع ابن زيدون بين "ضمير القلب" مما يخلق تكاملًا دلاليًا: فالقلب: مركز الإدراك (نسيان الدنيا)، والضمير تعبير عن الجانب الأخلاقي/ الروحيّ (العبودية لله). فالضمير هنا هو الوجدان الأخلاقيّ، مما يجعله أعمق من "الفؤاد" (الانفعاليّ) وأقرب إلى "اللبّ" (العقل الخالص).

وفي المقارنة بين "الضمير" و"الجنان" يُمكن ملاحظة أنّ كليهما يدلّان على الخفاء، لكنّ "الجنان" يركّز على المشاعر (كالحبّ/ الحزن)، بينما "الضمير" يضيف بُعدًا أخلاقيًا (العفاف، العبوديّة).

وفي المقارنة بين "الضمير" و"الفؤاد" أو "القلب"، يُمكن رؤية أنّ الضمير يميل إلى القلب؛ لأنّه يرمز إلى الإدراك والثبات، بينما يعبّر الفؤاد عن الحالة الانفعاليّة المؤقّتة.

ومن حيث التطوّر الدلاليّ يمكن الاستنتاج أنّ الضمير في العصر العبّاسيّ (كما هو الحال لدى الخرائطيّ)، وفي العصر الأندلسيّ (كما هو الحال لدى ابن زيدون)؛ اكتسب بُعدًا فلسفيًا، حيث أصبح جسرًا بين المشاعر (الجنان) والعقل (اللبّ)، بمعنى أنّه أقرب إلى القلب والتفكّر

7. استنتاجات

استقرأ هذا البحث مدلولات القلب ومرادفاته في اللغة والدين والشعر. وقد سعى إلى متابعة التطوّر الدلاليّ لألفاظ القلب، والإلمام بقسط وافر منها.

وتوصّل البحث إلى الاستنتاجات التالية:

- تعددت مرادفات القلب في اللغة العربية، لكل منها دلالة خاصّة، مثل "اللُبّ" للعقل و"الفؤاد" للانفعال.
- هنالك أشباه ألفاظ تحمل معنى القلب أو بعضه، كالسريرة والصدر والضمير والروع والشَّغاف والجلجلان.
- في الإسلام، القلب مركز للإيمان والأخلاق، كما في الآيات والأحاديث التي تربط صلاح القلب بصلاح الجسد.
- نظر الإسلام إلى القلب كمركز للعقل، وربط مصير الإنسان في عالم الآخرة بنوع القلب.
- استخدم الشعراء مصطلحات مثل "الفؤاد" للتعبير عن المشاعر العابرة و"الجَنان" للقوة أو المشاعر المخفيّة، مما يعكس ثراء الدلالات.
- تغيّرت دلالة بعض الكلمات عبر العصور، بتأثير الفلسفة والتصوّف، كما هو الحال بالنسبة لمعنى العقل في لفظة (جنان).
- جمعت بعض الألفاظ أكثر من معنى، ككلمة لبّ التي جمعت العقل والعاطفة، وكلمة ضمير التي جمعت المشاعر المخفيّة بالجانب الأخلاقيّ (السريرة الأخلاقيّة).
- ظهر المركّب الثقافيّ في استخدام القلب للعلاج الجسمانيّ والروحانيّ والوجدانيّ.
- تطوّرت دلالات بعض المرادفات دون غيرها، كلفظة "جنان" في الشعر، ولكنّها من جهة أخرى تغيّرت إلى معاني جديدة لا تمتّ بصلة للأصل.

8. توصيات

يوصي البحث أن تنطلق دراسات جديدة من هذا البحث وتقوم بتوسيعه، أو اختيار جزئيّات منه لأبحاث مستقبليّة. وينصح أيضًا ببحث مرادفات نادرة ككلمة "ضمير" أو "سريرة" في الشعر والقصّة والرواية. ويوصى بفحص العلاقة الجندريّة ببعض الألفاظ والمرادفات؛ فهل المرأة تميل الى السريرة والجنان، بينما يميل الرجل إلى القلب واللب والصدر؟

ويوصي البحث أخيرا بفحص العلاقة بين نوع الغزل وبين منواليّة بعض الألفاظ؛ فهل الحبّ العذري يستدعي مرادفات بعينها بعكس الحبّ الحضريّ؟

9. مراجع

ابن أبي ربيعة، عمر. *ديوان عمر بن أبي ربيعة*. ط.2. بيروت: دار الكتاب العربي، 1996.

ابن أبي سلمى، زهير. *ديوان زهير بن أبي سلمى*. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1988.

أبو خضرة، فهد وآخرون. *المعجم الوافي في مصطلحات اللغة العربيّة وآدابها*. باقة الغربيّة: مجمع القاسميّ للغة العربيّة، 2013.

الأخفش الأوسط. *معاني القرآن*. تحقيق: هدى قراعة. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1990.

الأصمعيّ، عبد الملك بن قريب. *الأصمعيّات*. ط.7. القاهرة: دار المعارف، 1993.

الأنطاكيّ، داود. *تزيين الأسواق في أخبار العشاق*. بيروت: دار البحار للطباعة والنشر، 2003.

الباهليّ، عمرو بن أحمر. *شعر عمرو بن أحمر الباهليّ*. تحقيق: حسين عطوان. دمشق: مجمع اللغة العربية، (د.ت.).

البخاريّ، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. ط.5. دمشق: دار ابن كثير ودار اليمامة، 1993.

الجوزو، محمد. *مفهوم العقل والقلب في القرآن والسنّة*. بيروت: دار العلم للملايين، 1980.

الجوزيّة، ابن قيّم. *إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان*. القاهرة: دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، 2004.

الجوهري، إسماعيل بن حماد. *تاج اللغة وصحاح العربيّة*. بيروت: دار العلم للملايين، 1987.

ابن حزم الأندلسيّ. *طوق الحمامة في الألفة والألاف*. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1987.

الحسين السراج، عبد الله بن محمد. *مصارع العشاق*. بيروت: دار صادر، 2007.

الخرائطيّ، محمد بن جعفر. *اعتلال القلوب*. مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز، 2000.

ابن الخطيب، لسان الدين. *ديوان لسان الدين ابن الخطيب*. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1989.

الخنساء. *ديوان الخنساء*. ط.2. بيروت: دار المعرفة، 2004.

ابن الخيّاط، علي بن محمد. *ديوان ابن الخياط*. دمشق: المجمع العلمي العربيّ، 1958.

درويش، محمود. *لماذا تركت الحصان وحيدا*. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2001.

ابن دريد، محمد بن الحسن. *جمهرة اللغة*. بيروت: دار العلم للملايين، 1987.

الدميريّ، كمال الدين. *حياة الحيوان الكبرى*. بيروت: دار الكتب العلميّة، 2004.

الذهبي، شمس الدين. *سير أعلام النبلاء*. ط.3. بيروت: مؤسّسة الرسالة، 1985.

الراغب الأصفهانيّ. *المفردات في غريب القرآن*. الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، 1997.

الزبيديّ، محمد مرتضى. *تاج العروس من جواهر القاموس*. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، 2001.

الزمخشريّ، محمود بن عمر. *أساس البلاغة*. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.

ـــــــ. *الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل*. القاهرة: دار الريّان للتراث، 1987.

ابن زيدون، أحمد بن عبد الله. *ديوان ابن زيدون*. ط.2. بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1994.

السيوطيّ، جلال الدين. *همع الهوامع في شرح جمع الجوامع*. ج.2. تحقيق: أحمد شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1998.

ابن شدّاد، عنترة. *ديوان عنترة بن شداد*. بيروت: دار الكتاب العربي، 1992.

الشرتونيّ، سعيد. *أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد*. ج.2. طهران: دار الأسوة للطباعة والنشر، 2005.

الشعراء الهذليّون. *ديوان الهذليّين*. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.

شوقي، أحمد. *الشوقيّات*. القاهرة: مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.

ـــــــ. *مجنون ليلى*. القاهرة: مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.

طوقان، فدوى. *الأعمال الشعريّة الكاملة*. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، 1993.

ابن عاشور، محمد الطاهر. *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسيّة للنشر، 1984.

عبد، إنعام. "القلوب في القرآن الكريم." *مجلّة ديالى* 82، (2019): 371-403.

عبد الباقي، محمد فؤاد. *اللؤلؤ والمرجان فيما اتّفق عليه الشيخان*. القاهرة: دار الحديث، 1986.

عثمان، آرام. "الربط النحويّ للآيات المخاطبة للقلوب في القرآن الكريم (دراسة نصيّة)." *مجلّة جامعة كيرمان* 7(4)، (2021): 120-130.

ابن عطيّة، جرير. *ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب*. ط.3. تحقيق: نعمان طه. القاهرة: دار المعارف، 1986.

عكاشة، محمود. *الدلالة اللفظيّة*. القاهرة: المكتبة الأنجلو المصريّة، 2002.

علي، جواد. *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. لندن وبيروت: دار الساقي. 2001.

الغزالي، أبو حامد. *إحياء علوم الدين*. بيروت: دار المعرفة. 1982.

الغلاييني، مصطفى. *جامع الدروس العربيّة*. صيدا وبيروت: منشورات المكتبة العصريّة، 1991.

الفاطميّ، تميم بن المعز. *ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطميّ*. القاهرة: دار الكتب المصرية، 1957.

الفرّاء، يحيى بن زياد. *معاني القرآن*. ط.3. بيروت: عالم الكتب، 1983.

الفراهيديّ، الخليل بن أحمد. *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي وصالح السامرّائي. بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت.

الفيروزآبادي، مجد الدين. *القاموس المحيط*. ط.8. بيروت: مؤسّسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 2005.

القاسم، سميح. *ديوان سميح القاسم*. بيروت: دار العودة، 1987.

القرطبيّ، محمد بن أحمد. *الجامع لأحكام القرآن*. بيروت: مؤسّسة الرسالة، 2006.

الكلبيّ، عرقلة الدمشقيّ. *ديوان عرقلة الكلبيّ*. بيروت: دار صادر، 1992.

المبارك، محمد. *فقه اللغة وخصائص العربيّة – دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة*. بيروت: دار الفكر، 1972.

المتنبي، أحمد بن الحسين. *ديوان المتنبي*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1983.

مجمع اللغة العربية بالشارقة. *معجم الشارقة التاريخيّ للغة العربيّة*. 2024. تم الاسترداد من https://www.almojam.org

المركز العربيّ للأبحاث. *معجم الدوحة التاريخيّ للغة العربيّة*. 2013 تم الاسترداد من https://dohadictionary.org

معروف، يحيى. "القلب في القرآن والأدب العربيّ: حقيقة أم مجاز؟." *مجلّة الجمعيّة الإيرانيّة للغة العربيّة وآدابها* 13/5، (2010): 129-154.

ابن معمر، جميل. *ديوان جميل بثينة*. بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1982.

ابن المقفع، عبد الله. *كليلة ودمنة*. القاهرة: مكتبة زهران، 2005.

ابن الملوّح، قيس. *ديوان قيس بن الملوح (مجنون ليلى)*. بيروت: دار الكتب العلميّة، 1999.

ابن منظور، محمد بن مكرم. *لسان العرب*. بيروت: دار صادر، 1994.

نجف آبادي، سميّة. "الأبعاد التداوليّة لاستعارات القلب في ترجمان الأشواق- مقاربة معرفيّة." *مجلّة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائريّ* 1/17، (2021): 171-189.

النيسابوريّ، مسلم بن الحجاج. *الجامع الصحيح (صحيح مسلم)*. بيروت: دار طوق النجاة، 2012.

ابن هشام، عبد الملك. *السيرة النبويّة*. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1981.

الهمذانيّ، ابن فارس. *معجم مقاييس اللغة*. بيروت: دار الجيل، 1999.

وهبة، مجدي والمهندس، كامل. *معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب*. بيروت: مكتبة لبنان، 1984.

اليبرودي، يسرى، ونصّار، ديما. "الصدر ودلالاته الجماليّة والبيانيّة من منظور القرآن الكريم." *دراسات علوم الشريعة والقانون* 2/48: 149-160. استرجع من: https://dsr.ju.edu.jo/djournals/index.php/Law/article/view/2254

Sa'ari, Che. Z. "Al-Ghazali's Views on the Heart, The Spirit and the Soul: A Comparison between Ihya' 'Ulum Al-Din and Al-Risalah Al-Laduniyyah." *Jurnal Usuluddin*, (January 1997): 193-208.